عليهم وقال في النصارى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الى قوله قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل وهذا خطاب للنصارى كما دل عليه
السياق ولهذا انما نهاهم عن الغلو وهو مجاوزة الحد كما نهاهم عنه في قوله تعالى لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله الاية واليهود مقصرون عن الحق والنصارى غالون
فيه فاما وصف اليهود بالغضب والنصارى بالضلال فله اسباب ظاهرة وباطنة ليس هذا
موضعها وجماع ذلك ان كفر اليهود اصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه
عملا او لا قولا ولا عملا وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون في اصناف العبادات
بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون ولهذا كان السلف سفيان بن عيينة وغيره
يقولون ان من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى
وليس هذا موضع شرح ذلك ومع ان الله قد حذرنا سبيلهم فقضاؤه نافذ بما اخبر به رسوله مما
سبق في علمه حيث قال فيما اخرجاه في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو
دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وروى البخاري في صحيحه
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تاخذ امتي ماخذ
القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله الفارس والروم قال ومن الناس الا اولئك
فاخبر انه سيكون في امته مضاهاة لليهود والنصارى وهم اهل الكتاب ومضاهاة لفارس والروم
وهم الاعاجم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهولاء وهولاء وليس هذا اخبارا عن جميع
الامة بل قد تواتر عنه انه لا تزال من امته طايفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة واخبر
ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة وان الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته
فعلم بخبره الصدق انه في امته قوم مستمسكون بهديه الذي هو دين الاسلام محضا
وقوم منحرفون الى شعبة من شعب اليهود او الى شعبة من شعب النصارى وان كان الرجل
لا يكفر بكل انحراف بل وقد لا يفسق ايضا بل قد يكون الانحراف كفرا وقد يكون فسقا وقد يكون
معصية وقد يكون خطا وهذا الانحراف امر تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان فلذلك
امر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية الى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية
اصلا وانا اشير الى بعض امور اهل الكتاب والاعاجم التي ابتليت بها هذه الامة ليجتنب
المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم الى صراط المغضوب عليهم او الضالين قال الله
سبحانه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا الاية فذم
اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم وقد يبتلى بعض المنتسبين بالعلم وغيرهم
بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم نافع او عمل صالح وهو خلق مذموم مطلقا وهو
في

وهو في هذا الموضع من اخلاق المغضوب عليهم وقال سبحانه ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله فوصفهم الله بالبخل الذي هو البخل بالعلم
والبخل بالمال وان كان السياق يدل على ان البخل بالعلم هو المقصود الاكبر وكذلك وصفهم بكتمان العلم
في غير اية مثل قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية
وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا
قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وقال
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم
به عند ربكم افلا تعقلون فوصف المغضوب عليهم بانهم يكتمون العلم تارة بخلا به وتارة اعتياضا
عن اظهاره بالدنيا وتارة خوفا ان يحتج عليهم بما اظهروه منه وهذا قد ابتلي به طوايف
من المنتسبين الى العلم فانهم تارة يكتمون العلم بخلا به وكراهة ان ينال غيرهم من الفضل ما
نالوه وتارة اعتياضا برياسة او مال فيخاف من اظهاره انتقاص رياسته او نقص ماله وتارة
يكون قد خالف غيره في مسئلة او اعتزى الى طايفة قد خولفت في مسئلة فيكتم من العلم ما فيه حجة
لمخالفه وان لم يتيقن ان مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره اهل العلم يكتبون
ما لهم وما عليهم واهل الاهوا لا يكتبون الا ما لهم وليس الغرض تفصيل ما يجب وما يستحب وانما الغرض
التنبيه على مجامع يتفطن اللبيب بها لما ينفعه الله به وقال تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله
قالوا نومن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم الى قوله فلعنة الله على
الكافرين فوصف اليهود انهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به والداعي اليه فلما جاءهم الناطق
به من غير طايفة يهوونها لم ينقادوا له وانهم لا يقبلون الحق الا من الطايفة التي هم منتسبون اليها
مع انهم لا يتبعون ما لزمهم من اعتقادهم وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين الى طايفة معينة
في العلم او الدين من المتفقهة والمتصوفة وغيرهم او الى رييس معظم في الدين غير النبي صلى الله
عليه وسلم فانهم لا يقبلون من الدين رايا ورواية الا ما جاءت به طايفتهم ثم انهم لا يعلمون ما توجبه
طايفتهم مع ان دين الاسلام يوجب اتباع الحق مطلقا رواية ورايا من غير تعيين شخص
او طايفة غير الرسول صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في وصف المغضوب عليهم يحرفون الكلم عن مواضعه

Copyright © King Saud University